الفصل السادس

بحوث الصورة

ظهرت أهمية بحوث الصورة عندما تزايد الأخذ بالتخطيط العلمى لتكوين الصورة للفرد أو المنظمة أو الدولة بين الجماهير النوعية أو العامة داخل الدولة أو خارجها. فالتخطيط لابد أن يستند إلى معلومات دقيقة عن الأوضاع الحالية للصورة، والأسباب التى أدت إلى تكوينها على هذا النحو أو ذاك، لكى تدعم الدوافع المؤيدة وتعالج الجوانب السلبية. كما أن دراسة العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية السائدة والمؤثرة على تكوين الصور الذهنية فى المجتمعات المختلفة ينبغى أن تسهم فى مجموعة المدخلات الأساسية التى يقوم عليها التخطيط الناجح.

وتعتمد بحوث الصورة على نفس المناهج والأدوات التى يستخدمها علماء النفس والاجتماع والاتصال لقياس الاتجاهات ومعرفة الدوافع المؤيدة والمعارضة، ومن ثم تحديد أبعاد الصورة الحالية للفرد أو المنظمة أو الدولة. ويتوقف استخدام منهج معين أو أداة بعينها على طبيعة البحث المطلوب وأهدافه والظروف المحيطة بإجرائه، وما إذا كانت حدود البحث بسيطة وأهدافه محدودة أو العكس حينما تكون أهداف البحث متشعبة والمتغيرات المتصلة بالموضوع معقدة إلى أقصى مدى. وهذا ما يحدث فى بحوث الصورة القومية التى تحتاج إلى استخدام عدد من المناهج والأدوات البحثية لكى تحقق درجة عالية من الدقة تتغلب بها على احتمالات التحيز أو الوصول إلى نتائج مضللة لصعوبة هذا النوع من البحوث الذى يتطلب مهارات بحثية عالية فى اختيار مناهجه وتحديد أدواته.

أهمية بحوث الصورة:

إذا كانت بحوث الصوة القومية قد لقيت اهتماماً متزايداً من جانب المهتمين بالعلاقات الدولية والمشتغلين فيها، فإن المنظمات الدولية والمنشآت والشركات التى تعمل على نطاق دولى أصبحت هى الأخرى حريصة على معرفة صورتها السائدة بالنسبة للجماهير ذات الصلة الوثيقة بها فى المجتمعات المختلفة. وقد حدث ذلك

فى إطار سعيها إلى تكوين صورة طيبة تحقق لها النمو والتطور والقدرة على أداء رسالتها على أوسع نطاق ممكن. كما كان من الطبيعى أن تقوم المنظمات المحلية وكافة المؤسسات والشركات القائمة داخل أى مجتمع بدراسة صورتها التى تكونت فى أذهان الجماهير بعد تزايد اهتمام هذه المنظمات بالعلاقات العامة وحرصها على تكوين صورة محابية هى بمثابة المناخ النفسى أو البيئة الذهنية التى تعمل من خلالها العلاقات العامة.

وقد أصبحت دراسة صورة الفرد أيضاً لها أهمية كبرى مع تزايد أهمية بعض الأفراد ذوى الصفة العامة فى المجتمع سواء كانوا مرشحين سياسيين أو مطربين أو ممثلين أو قادة فكر فى أى مجال أو رجال أعمال كبار. وقد بدأت هذه الأهمية تظهر بوضوح فى المجتمعات الرأسمالية حيث ينتشر كبار رجال الأعمال، وتحدد صورة الممثل أو المطرب فى أذهان الجماهير جانباً كبيراً من تقدير قيمته الفنية الأدبية والمادية، كما تستهدف الحملة الانتخابية أساساً تحقيق الفوز للمرشح من خلال تكوين الصورة المرغوبة له عند الناخبين.

وقد تزايدت أيضاً أهمية بحوث الصورة بالنسبة لبعض المهن والعلوم وقطاعات المجتمع المختلفة فى وسائل الاتصال الجماهيرية وكذلك عند الجمهور العام أو الجماهير النوعية، كصورة مهنة العلاقات العامة مثلاً عند رجال الإدارة أو المشتغلين بها أو المتأثرين بنشاطها. وذلك بهدف دراسة المعالم السلبية فى هذه الصورة والعمل على تلافيها والأخذ بالأسلوب العلمى فى ممارستها وتخليصها من الدخلاء أو المدعين. وكذلك دراسة صورة المرأة فى وسائل الاتصال الجماهيرية أو صورة رجال الشرطة فى أى مجتمع لنفس الأهداف التى ذكرت أو غيرها من أهداف تتطلبها الدراسة.

ومن الدراسات الطريفة فى مجال بحوث الصورة تلك الدراسة التى أجريت لمعرفة صورة علم وثيق الصلة بالصورة الذهنية وهو علم النفس. وقد أجريت الدراسة

على عينة قوامها خمسمائة شخص نصفهم تقريباً من الذكور والنصف الآخر من الاناث، وتتراوح أعمارهم بين ١٦ سنة و٤٥ سنة، وتتمثل فيهم مستويات التعليم المختلفة من الشهادة الابتدائية إلى الجامعية وكذلك المهن والمستويات الحضرية المتباينة. وقد خرجت الدراسة بنتيجة تؤكد أن الصورة الشائعة عن هذا العلم مشوهة إلى حد كبير بين غير المتخصصين، وأن المفاهيم الخاطئة فى هذه الصورة لم تقتصر على فئة معينة دون الأخرى. فقد وردت فى اجابات طلاب الدراسات الانسانية والطبية وكذلك طلاب المدارس الثانوية، والعمال والذكور والاناث. وقد اختلطت المسألة عند البعض بما يشبه السحر والشعوذة، وقراءة الكف، فى نفوس العباد، وان كان هؤلاء الذين اختلطت عليهم الأمور إلى هذا الحد لا يمثلون غالبية المبحوثين[١].

أدوات دراسة الصورة:

تبين من دراسة عدد كبير من البحوث التى أجريت فى مجال الصورة الذهنية أن أكثر المناهج التى تلجأ إليها العلاقات العامة فى دراسة الصورة الحالية للفرد أو المنظمة هو المنهج المسحى، وأن أكثر الأدوات شيوعاً هى الاستبيان والمقابلة وتحليل المضمون.

ويستخدم الاستبيان أو المقابلة لمعرفة صورة الفرد أو المنظمة فى أذهان الجماهير من خلال توجيه الأسئلة المباشرة وغير المباشرة التى تستهدف التعرف على قسمات هذه الصورة. كما تستخدم الأسئلة المفتوحة بشكل أكثر مما هو معتاد فى بحوث الرأى العام لما تتيحه من فرص التعبير عن الانطباعات الذاتية التى تعكس معالم الصورة الذهنية. ويلجأ الباحثون فى هذه الحالة أيضاً إلى توجيه أسئلة غير مباشرة نهايتها مفتوحة على النحو التالى:

- ما الذى يخطر على بالك حينما تفكر فى چيمى كارتر؟[٢].

(١) مصطفى سويف (دكتور): ***المرجع السابق***، ص٤-١٥.

(2) Patterson, Thomas E.: ***Op.cit*** ., p. 133.

- ما الذى يخطر على ذهنك عندما تسمع اسم شركة فولفو؟
- ما الذى يخطر على بالك حينما تفكر فى الشعب الانجليزى؟

كما تستخدم طريقة اكمال الجمل وهى احدى الأساليب الاسقاطية على النحو التالى:

اليابان دولة ..... ويتصف شعبها بـ..... وتزدهر فيها صناعة ..... ويعتمد اقتصادها بشكل أساسى على ..... وينظر إليها العالم الخارجى باعتبارها ..... .

وتندرج هذه الأدوات تحت الوسائل الفردية لجمع المعلومات ودراسة الصورة فى أذهان الأفراد. فى حين أن تحليل المضمون يدرس الصورة من خلال وسائل التعبير الجماعية التى تتمثل فى الصحف والمجلات والأفلام وبرامج الراديو والتليفزيون وغيرها من الوسائل التى تعكس اتجاهات الجماهير وتعبر عن آرائها. وقد تناولنا أداتى الاستبيان والمقابلة فى الفصل الثالث من مؤلفنا الأسس العلمية للعلاقات العامة بشىء من التفصيل، فليرجع إليه من يرغب فى معرفة التفاصيل العلمية لهاتين الأداتين. ونحيل القارىء إلى الدراسات القيمة التى صدرت عن تحليل المضمون باللغة العربية والتى سنشير إليها من خلال عرضنا الموجز لاستخدام هذه الأداة فى التعرف على معالم الصورة من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية.

تحليل المضمون كأداة لدراسة الصورة:

برزت أهمية تحليل المضمون كوسيلة من وسائل البحث العلمى فى أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كانت أجهزة المخابرات تستخدم هذا الأسلوب العلمى لاكتشاف ميول الأشخاص سياسياً وعقائدياً من خلال تعبيراتهم المنطوقة أو المكتوبة. وتحليل المضمون يقوم على أساس نظرية ملخصها أن

لكل انسان بصمة فكرية على نحو ما له من بصمه ابهامية، وأن البصمات الفكرية تميز شخصية الفرد وتكشف عن هويته على النحو الذى تميزه بصمات أصابعه، ويضيف الباحثون أنه كما لا يستطيع الشخص أن يخفى طباعه الخاصة مهما كان بارعاً أو ذكياً، فإن سلوكه اللغوى لا يمكن إلا أن يفصح عن حقيقة شخصيته ويفضح اتجاهاته ومعتقداته(١).

وفى عام ١٩٤٩ نشر "هارولد لاسويل" Lasswell مؤلفه - الشهير «لغة السياسة» وفيه أكد على أهمية استخدام الأساليب الكمية فى تحليل المضمون، مع الاهتمام - فى نفس الوقت - بالتحليل الكيفى. ويعتبر "لاسويل" من الرواد الذين أسهموا فى تطوير أسلوب تحليل المضمون ومناهجه واستخداماته(٢).

ويعرف برلسون Berlson تحليل المضمون بأنه أسلوب البحث الذى يستخدم فى وصف المحتوى الظاهر لمادة الاتصال وصفاً موضوعياً ومنتظماً وكمياً. ويعرف هولستى Holsti بأنه «كل بحث يسعى إلى اكتشاف علاقات ارتباطية بين الخصائص المعبرة فى أى مادة اتصالية عن طريق التعرف على هذه الخصائص بطريقة موضوعية ومنهجية(٣).

ويؤكد ايثيل دى سولابول Ithiel de Sola Pool على أهمية التكامل بين الأسلوب الكمى والكيفى فى تحقيق أفضل النتائج لأن الكم وحده يعد مجرد

---

(١) ابراهيم إمام (دكتور): ***بحوث تحليل المضمون وتطبيقاتها فى الإعلام***، العدد ٧٠ من مجلة الإذاعات العربية، أبريل ١٩٧٧، ص٦.

(٢) سمير محمد حسين (دكتور): ***تحليل المضمون***. الطبعة الأولى. القاهرة، عالم الكتب ١٩٨٣، ص١٤.

(٣) فوزية فهيم (دكتورة): ***المادة الاخبارية فى الإذاعة المصرية، دراسة فى تحليل المضمون***، مجلة الفن الإذاعى، العدد ٧٤ - يناير ١٩٧٧، ص١١.

مظهرية احصائية لا يمكن اعتبارها ميزة فى حد ذاتها. كما أن التحليل الكيفى دون الاستعانة بالضبط الرياضى لا يوصل إلى تحليل منهجى دقيق.

وإذا صح تعريف اوتوجروت Otto Groth للإعلام بأنه التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت، فمن الطبيعى أن يكون تحليل مضمون المادة الاتصالية مدخلاً علمياً لمعرفة القيم والمعايير والاتجاهات السائدة فى المجتمع. فالمادة الاتصالية تعبر عن واقع المجتمع وما فيه من اتجاهات وقيم ومعتقدات.[١] وهذا يعنى أن تحليل هذه المواد يمكن أن يقدم صورة صادقة لأوضاع المجتمع فى فترة زمنية معينة. وكذلك الحال بالنسبة للأفراد والمنظمات التى تتناولها وسائل الاتصال مع مراعاة الأوضاع السائدة فى ضوء الحقائق عن نظام الحكم فى هذا المجتمع أو الضغوط الأخرى التى تجعل ما ينشر مخالفاً للواقع فى بعض الحالات.

إجراءات تحليل المضمون:

يرى هولستى أن جميع خطوات التحليل يعتمد بعضها على بعض وتشكل وحدة متكاملة. كما أن نجاح البحث يعتمد بالدرجة الأولى على الفروض أو التساؤلات التى يسعى الباحث إلى الحصول على اجابات عليها، وكذلك على اختيار العينة بحيث تمثل مجتمع البحث تمثيلاً دقيقاً. وكل خطوة من هذه الخطوات تتطلب قراءة جيدة متتالية للنص ومعايشة وحواراً صامتاً بين الباحث والرسالة. وقديماً قال فلاسفة اليونان أن فهم أى نص سياسى يفترض قراءات ثلاث: الأولى لفهم ذلك الذى قاله الكاتب، والثانية لتخيل ذلك الذى لم يقله، والثالثة لاكتشاف ذلك الذى أراد أن يقوله ولم يعلن عنه[٢].

---

(١) ابراهيم إمام (دكتور): *المرجع السابق*، ص١٢.

(٢) فوزية فهيم (دكتوره): *المرجع السابق*، ص٢٣.

ويحدد ريتشارد باد Budd إجراءات تحليل المضمون فى ست خطوات هى[١]:

أولاً: تحديد مشكلة البحث، ويتصل بها تحديد المفاهيم والفروض العلمية.

ثانياً: اختيار العينة.

ثالثاً: تحديد وحدات التحليل وفئاته وفقاً لقواعد موضوعية.

رابعاً: تحويل المضمون إلى حقيقة رقمية.

خامساً: المقارنة بين المتغيرات الرقمية للمضمون.

سادساً: استخلاص النتائج وفقاً لملاحظات الباحث وطبقاً للنظرية الملائمة.

أولاً: تحديد المشكلة البحثية:

البحث هو محاولة منظمة للاجابة الدقيقة على سؤال أو مجموعة من الأسئلة تشغل ذهن الباحث فى وقت معين وموضوع محدد. فإذا نجح الباحث فى تحديد السؤال بدقة فإنه يكون قد عرف الهدف الذى يحاول أن يصل إليه. وتشكل الإجراءات التالية باقى الطريق المؤدى إلى تحقيق هذا الهدف وضمان عدم الخروج عن المسار المحدد أو الشطط فى الغاية المرجوة.

ويتصل بتحديد المشكلة تحديد المفاهيم والفروض العلمية للدراسة واستعراض الدراسات السابقة. والمفهوم هو الوسيلة الرمزية التى يستعين بها الانسان للتعبير عن المعانى والأفكار المختلفة بغية توصيلها للآخرين.[٢] ولكى لا يحدث ارتباك حول معنى أى كلمة من الكلمات الواردة فى البحث ينبغى على الباحث أن يحدد مفهوم كل كلمة تحتمل اختلافاً فى معناها حتى يعرف القائمون على التحليل والقارئون للبحث بعد ذلك مدلول الكلمات المستخدمة.

---

(١) ***المرجع السابق***، ص٢٣.

(٢) مختار التهامى (دكتور): ***تحليل مضمون الدعاية فى النظرية والتطبيق***. القاهرة، دار المعارف ١٩٧٤، ص٢٦.

وتساعد الفروض على تحديد مجال البحث ووضعه فى اطار مناسب لطبيعة الموضوع. وليس من الضرورى أن تأتى النتائج متفقة مع الفروض التى سبق وضعها، فقد تكون النتائج السلبية التى يصل إليها الباحث أكثر قوة من النتائج الايجابية التى تتفق مع فروضه المبدئية، فالعبرة فى البحث بالتزام الموضوعية المطلقة فى جميع مراحله. وتستنبط الفروض بناء على الخبرة السابقة للباحث، وكذلك من الدراسة السابقة التى أجريت فى موضوع البحث أو الأبحاث المتصلة بهذا الموضوع. كما تساعد النظريات العلمية القائمة على اقتراح الفروض العلمية للبحث.

ومن الضرورى قبل أن نضع فروض البحث أن نراجع الدراسات المتعلقة بمجال بحثنا حتى لا نبدأ من الصفر، فالمعرفة الانسانية ليست وليدة اليوم، وما نبحث عنه ونفكر فيه قد يكون معروفاً لغيرنا من قبل. كما تقدم الدراسات السابقة نماذج لبعض العيوب والثغرات المنهجية تستفيد منها الدراسة الحالية بتفادى الوقوع فى هذه الثغرات مما يساعد على ارتقاء أسلوب البحث وتخلصه من الأخطاء المنهجية.

ثانياً: اختيار العينة:

قبل تحديد العينة التى ستخضع للتحليل، بل وفى اطار تحديد المشكلة البحثية يتحتم على الباحث أن يحدد مجتمع البحث الذى سيتناوله بالدراسة وأن يقدم المبررات العلمية لاختيار هذا المجتمع على وجه التحديد فى تلك الفترة بالذات. ونعرض فيما يلى لأهم أنواع العينات وتطبيقاتها فى مجال تحليل المضمون[1].

١- العينة العشوائية البسيطة:

وهى أبسط أنواع العينات، وفيما يتم حصر جميع مفردات مجتمع البحث، وتحديد حجم العينة المطلوب، ثم سحب وحدات المعاينة بطريقة عشوائية. ويتم هذا

(١) سمير محمد حسين: المرجع السابق، ص١٢٤-١٢٥.

السحب عادة باستخدام جداول الأرقام العشوائية، وتستخدم هذه العينة فى حالة تجانس مجتمع البحث.

٢- العينة المنتظمة:

وتستخدم هذه الطريقة فى تحليل المضمون فى اختيار الأيام أو التواريخ أو الاعداد التى يفصل بينها فترات زمنية متساوية. وينبغى التنبه لأخطاء التحيز غير المقصود التى قد تنتج عن اتباع أسلوب المعاينة المنتظمة، كاختيار نفس اليوم من كل أسبوع مما لا يسمح بامكان تمثيل بعض وحدات المعاينة ذات الطبيعة الخاصة داخل مجتمع البحث، كالاعداد الأسبوعية أو الاعداد الخاصة أو غيرها من المواد التى تأتى فى غير فترات تمثيل العينة للمجتمع.

٣- العينة العمدية:

ويلجأ الباحث إلى استخدام هذا الأسلوب إذا كان البحث يقتضى أن تتضمن العينة الاجمالية وحدات معينة يعرف الباحث أنها تمثل مجتمع البحث تمثيلاً صحيحاً. فى هذه الحالة يختار الباحث الأعداد التى ستخضع للتحليل اختياراً عمدياً لأن خطأ التحيز الناتج عن الاختيار العمدى سيكون أقل من خطأ التحيز الناتج عن الاختيار العشوائى.

٤- العينة الطبقية:

وهى التى يتم فيها تقسيم مجتمع البحث إلى أقسام أو طبقات متجانسة فى داخلها، ومختلفة فيما بينها، ويتم سحب وحدات المعاينة بالنسبة لكل طبقة على حدة إما بطريقة عشوائية بسيطة أو منتظمة، ثم تستخدم نتائج كل طبقة فى حساب تقدير متوسط للمجتمع كله. وتستخدم هذه الطريقة أساساً فى حالة الاتجاه إلى تحليل مواد صحفية وإذاعية وتليفزيونية، حيث يقوم الباحث بتقسيم المجتمع الأصلى إلى ثلاث طبقات (الصحف، الراديو، التليفزيون) ثم يختار عينة عشوائية أو منتظمة من كل طبقة منها.

٥- العينة العنقودية أو عينة المجموعات:

وهى التى تتم على أكثر من مرحلة استناداً إلى تقسيم المجتمع إلى أكثر من مستوى واحد. وتعتبر هذه الطريقة من أنسب طرق اختيار العينات فى مجال تحليل المضمون نظراً لأن مجتمع البحث يتكون من أكثر من مستوى واحد من مستويات المصادر والتواريخ أو الأعداد أو الطبعات، ثم المضمون مع وجود مستويات فرعية جزئية داخل كل مستوى رئيسى من هذه المستويات. وباستخدام هذه الطريقة يضمن الباحث أنه أخذ فى اعتباره جميع المستويات والتقسيمات المختلفة للمجتمع الأصلى للبحث مما يؤدى إلى تقليل الأخطاء العشوائية التى قد تنتج عن تشتت وحدات المعاينة وعدم تجانسها.

ثالثاً: تحديد وحدات التحليل وفئاته:

تنقسم وحدات تحليل مادة الاتصال إلى خمس وحدات أساسية هى الكلمات والموضوعات، والشخصيات، والمفردات، ومقاييس الزمن أو المساحة. ونتحدث عن كل وحدة منها فيما يلى[١]:

١- وحدة الكلمة:

وهى أصغر وحدات التحليل، وقد استخدمت هذه الوحدة فى ثلاثة أنواع من الدراسات على النحو التالى:

(أ) فى التحليل السياسى الرمزى الذى استخدمه لاسويل لدراسة مضمون مادة الاتصال على أساس تسجيل عدد مرات ورود كلمات معينة كالديمقراطية أو الشيوعية أو أسماء دول أو منظمات مع بيان الاتجاه المحابى أو المعادى أو المحايد التى وردت فى سياقه الكلمة.

---

(١) جمال زكى، والسيد يس: ***أسس البحث الاجتماعى***، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٦٢، ص٣٧٨-٣٨٩.

(ب) فى تحليل الأسلوب الأدبى.

(جـ) فى الدراسات التى أجريت على مدى قابلية المواد للقراءة (الانقرائية) والتى تعرضنا بالتفصيل لها فى الفصل الثانى من هذا الكتاب.

٢- وحدة الموضوع:

وقد تكون جملة أو عبارة تتضمن الفكرة التى يدور حولها موضوع التحليل . وقد استخدم الموضوع كوحدة للتحليل فى المسائل السياسية وغير السياسية. كما تستخدم هذه الوحدة فى الدراسات التى تستهدف تحديد آثار الاتصال. وتعتبر هذه الوحدة من أصعب وحدات تحليل المضمون لما يلى[٢]:

(أ) مشكلة الثبات Reliability خاصة إذا كانت الأفكار الواردة فى المضمون متداخلة ومتشابكة ومعقدة.

(ب) اختلاف المفاهيم والأساليب التى تستخدم فى عرض المادة الإعلامية إلى الدرجة التى يصعب معها عمل ترميز موحد لهذه المفاهيم.

(جـ) عدم وضوح حدود الأفكار والعبارات بالقياس إلى الكلمات.

٣- وحدة الشخصية:

تستخدم الشخصية الخيالية أو التاريخية كوحدة فى تحليل القصص، والدراما، وفصول التراجم والسير. وتقدم القصة فى مجموعها أساساً صالحاً للتصنيف الدقيق. غير أنه ينبغى أن تقرأ القصة كلها قبل أن يتخذ أى قرار يتعلق بالتحليل. ويذكر برلسون أمثلة عديدة لتحليل الأدب الروائى، والأفلام السينمائية، وإذاعات الراديو، ومقالات التراجم والسير.

---

(١) سمير محمد حسين: المرجع السابق، ص٨٠.

٤- وحدة المفردة:

المفردة هى الوحدة التى يشيع استعمالها فى تحليل المضمون، ويقصد بها الوحدة الطبيعية التى يستخدمها منتج مادة الاتصال. وتختلف المفردة باختلاف وسيلة الاتصال، فقد تكون كتاباً أو مقالاً أو قصة أو حديثاً أو برنامجاً إذاعياً أو خطاباً... الخ. وتستخدم المفردة كوحدة للتحليل إذا كانت هناك عدة مفردات وكانت الاختلافات داخل كل مفردة طفيفة أو غير ذات دلالة. وهكذا يمكن تصنيف القصص حسب موضوعاتها إلى سياسية واجتماعية، ومتصلة بالجريمة، أو بالعمل... الخ. وإذا احتوت كل مفردة على فئات متباينة فلا يصلح استخدام المفردة كوحدة للتحليل.

٥- وحدة مقاييس الزمن أو المساحة:

تتمثل هذه المقاييس فى تقسيم المضمون تقسيمات مادية مثل عدد الأعمدة، أو عدد السطور، أو الصفحات أو الدقائق بالنسبة للمواد المذاعة أو وحدات الطول بالنسبة للأفلام السينمائية.

فئات تحليل المضمون:

يتوقف نجاح أو فشل تحليل المضمون على الفئات التى يستعملها الباحث. وقد نجحت دراسات معينة فى تحقيق أهدافها إلى حد بعيد لانها اصطنعت فئات للتحليل واضحة الحدود، إلى جانب أنها كيفتها مع مشكلة البحث ومع طبيعة المضمون. وينبغى منذ البداية - التفرقة بين المادة والشكل. إذ يثار عادة بالنسبة للمادة سؤال ماذا كتب أو قيل؟ وبالنسبة للشكل سؤال: كيف كتب أو قيل؟ وبالرغم من أن الحدود بين هذين النوعين من الفئات: «ماذا قيل» و«كيف قيل» ليست دقيقة تماماً إلا أنه من المفيد اتباعها فى استعراض الفئات التى تستخدم فى تحليل المضمون[١].

(١) جمال زكى والسيد يس: المرجع السابق، ص٣٨١، ٣٨٢.

وتشمل فئات «ماذا قيل» موضوع الاتصال، واتجاهه المؤيد أو المعارض أو المحايد ومعاييره مثل الخلق، والقوة والجمال... الخ. وترتبط بالمعايير القيم والغايات مثل المال والحب والمكانة الاجتماعية والصحة والتقدم... الخ. وترتبط بها أيضاً السمات مثل الجنس والسن والمهنة والخصائص النفسية. وكذلك الفاعل وهو الشخص أو الجماعة التى تبدو فى المضمون على انها تقوم بفعل معين. ومن هذه الفئات السلطة أى المصدر الذى تنسب إليه المادة، ثم المكان الذى تصدر عنه المادة، ثم الهدف وهو الأفراد والجماعات الذين توجه إليهم المادة.

وتشمل فئات «كيف قيل» صورة ونوع الاتصال مثل تصنيف برامج الإذاعة إلى موسيقى ودراما وأخبار وأحاديث ومنوعات... الخ. وهناك أيضاً فئة شكل العبارة أو الموضوع وهل هى تعبير عن حقائق، أم عن أمانى أم عن توحد كان يقال مثلاً: أنا عربى. أما فئة شدة التعبير فتقيس مدى الانفعال الذى يظهر فى المضمون. ويقصد بفئة الوسيلة الفئة التى يتبعها المضمون كالتعميم والاستشهاد بمصادر متنوعة(١).

وتصاف إلى هذه الفئات المتعلقة بالشكل ضرورة قياس القيمة المعطاة للنص، والمقصود بهذه القيمة فى مجال المطبوعات موقع النص والعناوين المستخدمة وطريقة التقديم أو العرض واستخدام الوحدات التيبوغرافية فى ابراز النص واضفاء أهمية معينة على الموضوع.

والباحث الذى يستخدم تحليل المضمون يهتم بثبات التصنيف، وهو يعنى وصول مختلف المحللين إلى نفس النتائج من تحليلهم لنفس المادة. ولا يتسنى تحقيق الثبات الكامل إلا فى المجالات السطحية مثل عدد مرات ظهور كلمة معينة فى مادة الاتصال. ويزداد الثبات بالمثابرة على تحديد الفئات وتعريفها تعريفاً واضحاً وتدريب المحللين تدريباً شاقاً.

---

(١) نجيب اسكندر ابراهيم، وآخرون: ***الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعية***. الطبعة الأولى، القاهرة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ١٩٦٠، ص٢٥٠.

رابعاً: تحويل المضمون إلى حقيقة رقمية:

فى هذه المرحلة يتم تحويل المضمون بعد تحليله وتجميع بياناته وتبويبها إلى جداول تتضمن النتائج الكمية للتحليل. وينبغى أن يحرص الباحث فى هذه المرحلة على مراعاة الدقة الكاملة فى التجميع والتبويب من خلال التصنيفات المتفق عليها مع مجموعة الخبراء أو المحكمين ومع المحللين الذين نفذوا اختبار الثبات.

خامساً: المقارنة بين المتغيرات الرقمية للمضمون:

وفى هذه المرحلة يتم بحث النتائج الكمية التى خلصت إليها الدراسة ومقارنة هذه النتائج فى مجال مضمون معين بنتائج مجال آخر فى نفس العينة المبحوثة. وقد تتسع المقارنة لتشمل دراسات أخرى أو حقائق معينة سبق التوصل إليها فى بحوث سابقة. وبتحليل هذه النتائج احصائياً يمكن التعرف أيضاً على تطور الاتجاهات فى فترات معينة، أو دراسة خصائص أنواع مختلفة من المضمون، أو معرفة غلبة معايير معينة على ثقافة مجتمع معين. وهكذا يتم تحليل النتائج تحليلاً مقارناً يساعد على الوصول إلى المرحلة البحثية الأخيرة وهى استخلاص النتائج، وتفسيرها.

سادساً: استخلاص النتائج وتفسيرها:

يساعد التحليل الاحصائى على شرح ما تم ملاحظته وقياسه وما يهدف إليه الباحث بدراسته لمضمون مادة الاتصال. وهناك العديد من الاختبارات للتحليل الاحصائى مثل اختبار دلالة الفروق ومعاملات الارتباط والاتفاق والاختلاف والتحليل العاملى وغيرها من المقاييس الاحصائية. والتحليل الاحصائى لا يمكن أن يكون هدفاً فى حد ذاته، فهذه العمليات رغم أهميتها لا تعدو أن تكون تصويراً علمياً عقب إجراءات طويلة ومعقدة لما نستطيع أن نصل إليه عن طريق الانطباعات

الذاتية دون أن نضيف جديداً أكثر من عدة أرقام ضئيلة القيمة فى ذاتها لو قورنت بالجهد الذى يتعين بذله فى سبيل تجميعها.

لذلك فإنه من الضرورى دراسة العلاقات الارتباطية والاستفادة من نتائجها فى التحليل الكيفى للنتائج الكمية التى وصلت إليها الدراسة. وبعد انتهاء الباحث من كافة خطوات التحليل تأتى الخطوة الأخيرة وهى تفسير النتائج فى ضوء المتغيرات الأخرى التى تشتمل عليها الدراسة استناداً إلى الفروض التى سبق وضعها فى بداية الدراسة.

ويحذر «باد» من الدراسات التى تحاول أن تصل إلى تفسيرات وتأويلات أبعد نطاقاً عن المضمون ذاته لأنها تكون معرضة لنوعين من الخطأ:

١- إذا ما طبقت الدراسة أساليب التحليل على المضمون بطريقة خاطئة فستخرج النتائج خاطئة.

٢- إذا ما طبقت الدراسة أساليب التفسيرات بطريقة خاطئة على المضمون الذى تم تحليله بطريقة صحيحة وسليمة[١].

وتقتصر بعض البحوث على الوصف الدقيق للمضمون دون أن تخوض فى التفسيرات والاستنتاجات التى تفسر النتائج فى ضوء الظروف البيئية أو النفسية التى ترتبط بها لكى تضفى عليها المعنى الاجتماعى أو النفسى الحقيقى الذى قد يتفق مع النتائج الاحصائية أو يكشف أى تحيز أو تضليل فيها. ويحدد مجال البحث الاطار العام للتفسير. فالباحث النفسى يميل إلى التفسير على أساس الحاجات أو الدوافع. والباحث الاجتماعى قد يهتم أساساً بالتفسير السببى. وقد يؤدى التفسير العلمى للبيانات إلى التوصل لتحديد دقيق لاحدى المشكلات التى يتحتم افراد بحث مستقل لها. وبالتالى يساعد التفسير على تطور الأبحاث والوصول إلى النظريات العلمية.

---

(١) مختار التهامى (دكتور): ***المرجع السابق***، ص٣٧.